ملحق

منتخبات

من آيات القرآن الكريم

فضيلة الشيخ

أحمد فتحُ الله جامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٠٢) ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة: ١١٠].

أي: حافظوا على طاعتكم لربِّكم بأداء الصلاة ودفع الزكاة للمستحقين؛ وأيُّ شيء تتقرَّبون به إلى الله تعالى من صلاةٍ وزكاة وإحسان تجدون ثوابه كاملاً يوم القيامة، فالله تعالى مطَّلع على أعمالكم وسيجازيكم عليها[1].

ـ **فائدة:** كرَّر الله عَزَّ وَجَلَّ الأَمر بإقامة الصلاة وإيتاءِ الزكاة في القرآن تكراراً كثيراً، وذلك لعظم شأنهما وأمرهما وعلوِّ منزلتهما عند الله جلَّ وعلا وفضل قدرهما، وعلى ذلك جعلهما شريعة في الرسل السالفة، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم؛ ألا ترى إلى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقوله لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [يونس: ٨٧]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ [المائدة: ١٢]؛ وذلك ـ والله تعالى أعلم ـ أنَّ الصلاة قُربة فيما بين العبد وربِّه جلَّ وعلا، تجمعُ جميعَ أفعالِ

(١) التفسير الواضح الميسر ص٤٥.

الخيرِ، وفيها غايةُ منتهى الخضوعِ له جلَّ وعلا والطاعة، من القيام بين يديه، والمناجاة فيه، والركوع له، والسجود على الأرض وتعفير الوجه فيها، حتى لو أنَّ أحداً ممن خلص دينُه لله تعالى لو أُعطي ما في الدنيا على أن يعفِّر وجهه في الأرض لأحدٍ منَ الخلق ما فعل؛ وبالله التوفيق[1].

(١٠٠٣) ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ هو على الإضمار ـ والله أعلم ـ كأنه قال: وإذا سألك عبادي: «أين أنا عن إجابتهم»، فقل لهم: إني قريب الإحسان والبرِّ والكرامة لمن أطاعني. ويحتمل: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ قُرْبَ العلمِ والإجابة، لا قُرْبَ المكانِ والذات كقُرْب بعضِهم من بعضٍ في المكان؛ لأنه كان ولا مكان، ويكون على ما كان، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ١/٥٣٧.

﴿مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٥]؛ كلُّ ذلك يرجع إلى قرب العلم والإحاطة وارتفاع الجهات، لا قرب الذات على ما ذكرنا.

وإن كانت القصة على ما قاله بعض أهل التفسير: بأن اليهود قالوا: كيف يسمع ربُّك دعاءنا، وأنت تزعم أنَّ بيننا وبين السماء مسيرةُ خمس مئة عام، وأنَّ غِلَظ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمس مئة عام؟! فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، هذا لمَّا لم يعرفوا الصانع؛ ألا تراهم جعلوا له الولد، وجعلوا له شركاء! فخرج سؤالهم، إن كان، مخرج سؤال المتعنت، لا سؤال المسترشد.

وقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أي: أقبل توحيد الموحِّد. وكذلك قال ابن عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، أي: وحِّدوني أغفرْ لكم. وقيل: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ على حقيقة الإجابة.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ أي: إلى ما دعوتهم. يحتمل على ما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ﴾ لكم، إذا استجبتم لي بالطاعة والائتمار. ويحتمل: ﴿أُجِيبُ﴾ لكم، إذا أخلصتم الدعاء لي. ويحتمل: على ابتداء الأمر بالتوحيد، كأنه قال: وحِّدوني؛ ألا ترى أنه قال: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ إذا فعلوا ذلك[1].

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٢/٤٨-٤٩.

(١٠٠٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧٧].

أي: إن المؤمنين الأبرار، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وحافظوا على صلاتهم على وجه الكمال، وأدَّوا الزكاة للفقراء والمساكين، هؤلاء لهم الثواب الكامل في الجنَّة، ولا يخافون يوم الفزع الأكبر، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا[1].

** ** **

(١) التفسير الواضح الميسر ص١٠٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٠٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

أي: اختار للنبوَّة والرسالة صفوة خلقه عليهم الصلاة والسلام، آدمَ أبا البشر، ونوحاً شيخ المرسلين، وذرية إبراهيم الخليل، منهم (إسحاق وإسماعيل) ومن تَنَاسل منهم من الأنبياء، كموسى، وعيسى، ومحمَّد خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام، لأنه من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، اختارهم على جميع الخلق[١].

ـ قال الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: الاصطفاء أنْ يجعلهم أصفياءَ من غير تكدُّرٍ بالدنيا.

وقال الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: إن الله تعالى اصطفى مَنْ ذكر، فهو والله أعلم ذكرُ اللهِ تعالى أولياءَه وأهلَ صفوته، ثم أعداءَه وأهلَ الشقاء؛ ترغيباً فيما استوجبوا الصفوة؛ وتحذيراً عما به صاروا أهل الشقاء؛ إذ هما أمران يتولَّدان عن اختيار البشر، ويقوم بأسبابهما أهل المحن، لا بنفس الخِلْقة والجوهر؛ فصار الذكر للمعنى الذي ذكرتُ. وعلى ذلك وجهُ ذكرِ عواقبِ الفريقين في الدنيا، وما إليه يصير أمرُهم في المعاد؛ وعلى هذا ما ضرب الله تعالى من الأمثال بأنواع الجواهر الطيبة والخبيثة في العقول والطبائع

(١) التفسير الواضح الميسر ص١٢١.

ترغيباً وترهيباً. وعلى هذا جميع أمور الدنيا، أنها كلَّها عِبَرٌ ومواعظ، وإن كان فيها شهوات ولذات، وآلام وأوجاع؛ ليُعلَم أنها خلقت لا لها، لكن لأمر عظيم، كان ذلك هو المقصود من مدبِّر العالم أنَّ بالعواقب يُذَمُّ أهلُ الاختبار ويُحمَدون؛ فجعل اللهُ تعالى عواقبَ الحكماء وأهل الإحسان حميدةً لذيذة ترغيباً فيها، وعواقبَ السفهاء وأهل الإساءة دميمةً وجيفة تزهيداً فيها؛ فخرج جميعُ فعلِ الله تعالى على الحكمة والإحسان، وإن كانت مختلفة في اللذَّة والكراهة؛ لأنه كذلك طريق الحكمة في الجزاء وفي ابتداء المحنة، إلا أن المحنة تكون مختلفة، والجزاء نوع لما هو كذلك في الحكمة والإحسان؛ إذ كذلك سبق من أهله الاختيار والجزاء على ما اختاره من له وعليه حكمة وإحسان؛ أعني بالإحسان فيما يجوز الامتحان بلا جزاء بحق الشكر لما أولى وأبلى، والحكمة فيما كان لازماً ذلك في التدبير، ولا قوة إلا بالله تعالى[1].

(١٠٠٦) ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [آل عمران: ٩٨].

أي: قل يا أيها الرسول : يا معشر اليهود والنصارى، لمَ تكفرون بالقرآن العظيم، المنزَّل على خاتم المرسلين مع قيام الدلائل والبراهين على صدقه؟ والله جلَّ وعلا مُطَّلِعٌ على جميع أعمالكم

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٢/٣٥٤-٣٥٥.

ومجازيكم عليها، والاستفهامُ للتوبيخ وبيانِ عجزهم عن إقامة العذر في الكفر[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ هو حرف وعيد وتنبيه؛ ينبئهم عن صنيعهم؛ ليكونوا على حذر من ذلك[٢].

(١٠٠٧) ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩﴾ [آل عمران: ٩٩].

توبيخ آخر لهم، أي: لمَ تمنعون الناسَ وتصرفونهم عن دين الله تعالى الحقِّ، وهو الإسلام، وتمنعون من أراد الدخول فيه، بالتلبيس على الناس، بإيهامهم أن فيه خَلَلاً وعوجاً، تطلبون أن يكون دينُ الله أعوج، وأنتم تعلمون حقَّ العلم بأن الإسلام هو الحقُّ، وهو الدين المستقيم؟ وليس الله تعالى بغافلٍ عن أعمالكم وإجرامكم[٣].

ـ وقوله: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ﴾ من الأتباع الذين كان إيمانهم إيمانَ تقليدٍ، لا إيماناً بالعقل؛ لأن من كان إيمانه إيماناً بالعقل فهو لا يُصَدُّ ولا يُصرَف عنه أبداً، لما عرف حسن الإيمان وحقيقته بالعقل، فهو لا يترك أبداً، وأما من كان إيمانه إيمان تقليد فلم يكن إيمانهُ إيمانَ حقيقة، فمِثْلُهُ يُصَدُّ عنه، إلا مَنْ يمنُّ الله تعالى

(١) التفسير الواضح الميسر ص١٣٩.
(٢) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٢/٤٤٠.
(٣) التفسير الواضح الميسر ص١٣٩.

عليه فيشرح صدره؛ حتى يكون على نور منه، وذلك أحد وجوه اللُّطف. والمقلِّد غير معذور؛ لما معه ما لو استعمله لأوضح له الطريق، وأراه قبح ما آثر من التقليد، ولا قوة إلا بالله[١].

(١٠٠٨) ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أي: أنتم يا أمة الرسول ﷺ، خيرُ الأمم وأفضلُها عند الله تعالى، لِأَمركم بالمعروف، ونهيكم عن المنكر، وإيمانكم بالله تعالى. وفي الحديث الشريف: «أنتم تُوفُّون ـ أي: تتمِّمون ـ سبعينَ أمة، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله عز وجل» [رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى]، وهذا الفضلُ العظيم، نالته الأمة المحمدية، بسبب أنها أمة إنقاذ أُخرجت لإنقاذ البشرية، رسالتُها الإصلاحُ والصلاح، ونفعُ العباد[٢].

ـ وقوله جلَّ وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ له وجهان: أي: ﴿كُنتُمْ﴾ على ألسن الرسل عليهم الصلاة والسلام في الكتب المتقدِّمة خير أمة. ويحتمل ﴿كُنتُمْ﴾ أي: صرتم بإيمانكم برسول الله ﷺ، واتِّباعكم ما معه خيرَ أمَّة على وجه الأرض؛ لأنهم آمنوا ببعض، وكفروا ببعض[٣].

---

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٢/٤٤٠-٤٤١.

(٢) التفسير الواضح الميسر ص١٤٢.

(٣) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٢/٤٥٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٠٩) ﴿... ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا...﴾ [النساء: ١١].

أي: إنَّ عقولكم لا تحيط بمصالحكم، فلا تعلمون من أنفع لكم ممَّن يرثكم من أصولكم وفروعكم، في عاجلكم وآجلكم، فاتركوا تقديركم بعقولكم، وكونوا مطيعين لأمر الله تعالى، فإنه العالم بمغيَّبات الأمور وعواقبها[1].

ـ قال الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ يقول: أطوعكم لله تعالى من الآباء والأبناء أرفعكم درجةً عند الله تعالى يوم القيامة؛ لأنه سبحانه وتعالى يشفِّع المؤمنين بعضهم في بعض. وقيل: قوله: ﴿لَا تَدْرُونَ﴾ أنتم في الدنيا ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ يقول: أخصُّ لكم نفعاً في الآخرة في الدرجات الوالد لولده، أو الولد لوالده؛ إذ هم في الدنيا لا يدرون أيهم أقرب لصاحبه نفعاً في الآخرة حتى يرجعوا في الآخرة قال: فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله تعالى إليه ولده في درجته؛ لتقر بذلك عينه، وإن كان الولد أرفع درجة من والده رفع الله تعالى الوالدين إلى الولد في

(١) المقتطف من عيون التفاسير: ٤٢٢/١.

درجته؛ لتقر بذلك أعينهم برفع الأسفل إلى الأعلى والأدون إلى الأفضل، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾، يعني: بإيمان الآباء، ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾، يعني الآباء ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١][(١)].

(١٠١٠) ﴿... وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء: ١١٨].

أي: أقسم الشيطان قائلاً: وعزَّتك وجلالك لأجعلنَّ من عبادك الذين أبعدتني من أجلهم عدداً كبيراً مقدَّراً، أغويهم وأضلُّهم عن عبادتك[(٢)].

ـ قال الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: إنه ـ لعنه الله ـ وإن قطع القول فيه: لأتخذنَّ من كذا، قطعاً، فهو ظنٌّ في الحقيقة؛ ألا ترى أنه قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠]؛ دلَّ أنَّ ما قاله قاله ظنّاً، لكنَّه خرج مقطوعاً محقَّقاً، ولا قوة إلا بالله[(٣)] (اللهم احفظنا من ظنِّه، ولا تجعل ظنَّه فينا يقيناً).

وفي التفسير الواضح الميسر: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠] أي: تحقَّق ظنُّ إبليس في

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٣/٥٥-٥٦.

(٢) التفسير الواضح الميسر ص٢١٧.

(٣) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٣/٣٦٤.

هؤلاء الضالِّين، حيث ظنَّ أنه يستطيع إغواءهم بتزيين الباطل لهم، فكان الأمر كما ظنَّ، فصَدَّقَ ظنَّه فاتَّبعوه فيما دعاهم إليه من الضلالة، إلا المؤمنون، فإنَّهم لم يتَّبعوه فسلموا من شرِّه[١].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ أي: مبيَّناً معلوماً، والنصيب المفروض هو ما ذكر: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ...﴾ إلى آخر ما ذكر ﴿مَّفْرُوضًا﴾ أي: مبيَّناً، من يطيعه ومن لا يطيعه[٢]. وقوله عزَّ وجل:

(١٠١١) ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ...﴾ [النساء: ١١٩].

قيل: هذا إخبار من الله تعالى عبادَهُ عن صنيع اللعين؛ ليكونوا على حذر منه.

ثم قوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ ليس على حقيقة الإضلال؛ لأنه لا يقدر أن يُضِلَّ أحداً، لكنه يدعو إلى الضلال ويُزيِّن عليهم طريقَه، ويُلبِّس عليهم طريق الهدى؛ فذلك معنى إضافة الإضلال إليه؛ وإلا لم يملك إضلالَ أحدٍ في الحقيقة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ...﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢]. ثم إذا ضلُّوا بدعائه إلى ذلك وتزيينه عليهم سبيلَه يمنِّيهم عند ذلك؛ حتى يتمنَّوا أشياء؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ...﴾

(١) التفسير الواضح الميسر ص١٠٦٩.

(٢) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٣/٣٦٤.

الآية [الأحقاف: ١١]، وكقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١]، ونحو ذلك من الأماني، وذلك مما يمنِّيهم الشيطان، لعنة الله عليه.

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي اللهُ تعالى عنهما: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾، يعني: عن الدِّين ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أن يصيبوا خيراً لا محالة؛ ليأمنوا[1].

** ** **

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٣/٣٦٤-٣٦٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠١٢) ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ...﴾ [المائدة: ٣].

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بالتوقيف على أصول الشرائع، وقوانين الاجتهاد. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: المعنى: أكملت لكم حدودي وفرائضي وحلالي وحرامي؛ وهو الأظهر، حيث لم ينزل بعد ذلك من الفرائض تحليل ولا تحريم، وأنه ﷺ لم يلبث بعدها سوى إحدى وثمانين يوماً، ومضى إلى الرفيق الأعلى ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وإتمام النعمة بفتح مكة، وهدم منار الجاهلية. وقيل: بإتمام الهداية والتوفيق ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي: اخترته لكم من بين الأديان[1].

ـ نزلت هذه الآية في حجة الوداع، ورسول الله ﷺ واقف على جبل عرفات، أي: في هذا الزمان أكملت لكم الشريعة والدين، ببيان الحلال والحرام، وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة، ودخول الناس في دين الله تعالى أفواجاً، وتمام الهداية والتوفيق، واخترت لكم من بين الأديان «دين الإسلام» الذي لا يقبل الله تعالى بعد اليوم ديناً غيره، كما نبَّه تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن

(١) المقتطف من عيون التفاسير: ٢/٩.

﴿يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهذه الآية يحسدنا اليهود عليها، فكيف بالقرآن العظيم كلِّه؟! روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى أن اليهود قالوا لعمر رضي الله تعالى عنه: «إنكم تقرؤون آية لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذناها عيداً! قال: وأيُّ آية؟ قالوا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فقال عمر رضي الله تعالى عنه: إني لأعلم حيث نزلت؟ وأين أنزلت؟ وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت؟ أنزلت يوم عرفة، وإنَّا والله بعرفة، وكان نزولها يوم الجمعة» أي: فهو عيد على عيد[1].

(١٠١٣) ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣].

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم وحرج ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ أي: تناولوا أكلاً وشرباً. عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: مات ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ وهم يشربون الخمر، فلما نزل تحريم الخمر قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ

(١) التفسير الواضح الميسر ص٢٤٢-٢٤٣.

ءَامَنُواْ﴾ الآية. والطَّعْمُ كالطعام، يُستعمل في الأكل والشرب ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ أي: ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب إذا اتَّقوا أن يكون في ذلك شيء من المحرَّمات ﴿وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: استمرُّوا على الإيمان والأعمال الصالحة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ أي: اتَّقوا ما حرَّم عليهم بعد ذلك ﴿وَّءَامَنُواْ﴾ بتحريمه واستمروا على الإيمان ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ أي: ما حرَّم عليهم بعد ذلك ﴿وَّأَحْسَنُواْۗ﴾ أي: عملوا الأعمال الحسنة؛ والمعنى: إذا اتَّقوا المحرَّمات، واستمرُّوا على ما هم عليه من الإيمان والأعمال الصالحة، فلا جناح عليهم فيما طعموه من المطاعم والمشارب، إذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فلا يؤاخذهم بشيء من ذلك؛ ومن صار محسِناً صار لله تعالى محبوباً[1].

** ** **

(١) المقتطف من عيون التفاسير: ٢/٧٣-٧٤.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١٠١٤) ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ هذا ـ والله أعلم ـ إخبار منه جلَّ وعلا نبيَّهُ عليه السلام أنه عَنْ عِلْمٍ منهُ بتكذيبهم إياكَ بعثك إليهم رسولاً، وأمرك بتبليغ الرسالة إليهم، وكان عالماً بما يلحقك من الحزن بتكذيبهم إياك، ولكن بعثك إليهم رسولاً مع علم منه جلَّ وعلا بهذا كلِّه لتُبلِّغهم، يذكر هذا ـ والله أعلم ـ ليُعلِم رسولَهُ ﷺ ألا عذر له في ترك تبليغ الرسالة، وإن كذَّبوه في تبليغها.

ثم الذي يحمله على الحزن يحتمل وجوهاً:

يحتمل: يحزنه افتراؤهم وكذبهم على الله تعالى. أو كان يحزن لتكذيب أقربائه وعشيرته إياه، فإذا أَكْذَبَتْه عشيرته انتهى الخبر إلى الأبعدين فيكذبونه، فيحزن لذلك. أو يحزن حزن طبع؛ لأن طبع كل أحد ينفر عن التكذيب. أو كان يحزن إشفاقاً عليهم بما ينزل عليهم من العذاب بتكذيبهم إياه وآذاهم له؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]. وكقوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ اختلف في تلاوته: قرأ

بعضهم بالتخفيف، وبعضهم بالتشديد والتثقيل: فمن قرأ بالتخفيف: قراءة (لا يُكْذِبُونَكَ)، أي: لا يجدونك كاذباً قط. ومن قرأ بالتثقيل: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: لا ينسبونك إلى الكذب، ولا يكذبونك في نفسك.

ويحتمل قوله: ولا يكذِّبونك في السر، ولكن يقولون ذلك في العلانية، والتكذيب هو أن يقال: إنك كاذب.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: عادة الظالمين التكذيب بآيات الله تعالى. و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: الظالمين على نعم الله تعالى عادتُهم التكذيب بآيات الله جلَّ وعلا. الثاني: والظالمين على أنفسهم؛ لأنهم وضعوها في غير موضعها[1].

(١٠١٥) ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾ يخبر نبيَّه عليه الصلاة والسلام ويصبِّره على تكذيبهم إياه وأذاهم بتبليغ الرسالة، يقول: لَسْتَ أنت بأوَّل مُكذَّبٍ من الرسل، بل كُذِّب إخوانُك من قبلك على تبليغ الرسالة، فصبروا على ما كُذِّبُوا وأوذوا، ولم يَترُكوا تبليغ الرسالة مع تكذيبهم إياهم؛ فعلى ذلك لا

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٤/٧٠.

عذر لك في ترك تبليغ الرسالة وإن كذبوك في التبليغ وآذوك، وهو ما ذكرنا أنه يخبره أنه بعثك رسولاً على علم منه بكل الذي كان منهم من التكذيب والأذى.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ﴾ أخبر اللَّه تعالى أنه نصر رسله، ثم يحتمل ذلك (النصر) وجوهاً:

أحدها: ينصرهم أي: أظهر حججه وبراهينه، حتى علموا جمعاً أنها هي الحجج والبراهين، وأنهم رسل الله تعالى، لكنهم عاندوا وكابروا.

ويحتمل: النصر لهم بما جعل آخر أمرهم لهم، وإن كان قد أصابهم شدائد في بدء الأمر.

أو نصرهم لما استأصل قومهم وأهلكهم بتكذيبهم الرسل، وفي استئصال القوم وإهلاكه إياهم، وإبقاء الرسل نَصْرهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢]، يُخَرَّج على الوجوه التي ذكرناها.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ وهو ما ذكرنا من النصر لهم، واستئصال قومهم، وما أوعدهم من العذاب؛ فذلك كلمات الله تعالى.

ويحتمل قوله: ﴿لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: حججه وبراهينه؛ كقوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [يونس: ٨٢]، أي: بحججه وآياته، وكقوله

تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، أي: حجج ربي.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يحتمل ما ذكرنا من إهلاك القوم وإبقاء الرسل، قد جاءك ذلك النبأ.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ من تكذيب قومهم لهم وأذاهم إياهم، فإن كان هذا ففيه تصبير رسول الله ﷺ[1].

(١٠١٦) ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ...﴾ [الأنعام: ٩١].

قال بعض أهل التأويل: ما عرفوا الله تعالى حقَّ معرفته. وقال غيرهم: ما عظَّموا الله تعالى حقَّ عظمته؛ ذكروا أن هَؤُلَاءِ لم يعظِّموا الله تعالى حقَّ عظمته، ولا عرفوه حقَّ معرفته؛ ومن يقدر أن يعظِّم اللهَ تعالى حقَّ عظمته، أو أن يعرفه حقَّ معرفته؟ أو من يقدر أن يعبد الله تعالى حقَّ عبادته؟!

وكذلك روي في الخبر: «أن الملائكة يقولون يوم القيامة: يا ربَّنا ما عبدناك حقَّ عبادتك» [رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي]، مع ما أخبر عنهم أنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقال: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، فهم مع هذا كلِّه يقولون: «ما عبدناك حقَّ عبادتك»، ومن يقدر أن يعرفه حقَّ معرفته، أو يعظِّمه حقَّ عظمته؟!

---

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٤/٧٢.

ولكن تأويله ـ والله تعالى أعلم ـ أي: ما عرفوا الله تعالى حقَّ المعرفة التي تعرف بالاستدلال، ولا عظَّموه حقَّ عظمته التي تعظم بالاستدلال، هذا تأويلهم، وإلا لا أحد يقدر أن يعرف اللهَ تعالى حقَّ معرفته، ولا يعظِّمه حقَّ عظمته حقيقة.

وهو يُخرَّج على وجهين:

أحدهما: ما قدروا الله تعالى حقَّ قدره، ولا اتقوه حقَّ تقواه مما كُلِّفوا به وأطاقوه ومما جرى الأمر بذلك، وإنَّمَا تجري الكلفة منه على قدر الطاقة والوُسع، وإلا لا يقدر أحد أن يعظِّم ربَّه حقَّ عظمته ولا يتقيه حقَّ تقواه، لكن ما ذكرنا مما جرت به الكلفة.

والثاني: ما قدروا الله تعالى حقَّ قدره ولا حقَّ تقاته على القدر الذي يعملون لأنفسهم، أي: لو اجتهدوا في تقواه وعظمته القدرَ الذي لو كان ذلك العمل لهم فيجتهدون، ويبلغ جهدهم في ذلك، فقد اتقوا[1].

(١٠١٧) ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ...﴾ [الأنعام: ٩٢].

قيل: القرآن أنزلناه مباركاً؛ سماه مرة: مباركاً، ومرة نوراً، ومرة هدًى ورحمة، ومرة شفاء، ومجيداً وكريماً وحكيماً؛ وليس يوصف هو في الحقيقة بنور، ولا مبارك، ولا رحمة، ولا هدى، ولا شفاء، ولا مجيد، ولا كريم، ولا حكيم؛ لأنه صفة، ولا يكون للصفة صفة توصف بها، ولو كان هو في الحقيقة نوراً، ورحمة، وهدى أو ما ذُكِرَ

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٤/١٦٥-١٦٦.

لكان يكون لكلِّ واحد نوراً وما ذكر، فلما ذكر أنه عمَّى على بعض، وأخبر أنه يزداد بذلك رجساً إلى رجسهم دلَّ أنه ليس هو في الحقيقة كذلك؛ لأنه لو كان كذلك لكان لكل أحد، لكن سمَّاه بهذه الأسماء:

سماه نوراً لما يصير نوراً للمسترشدين، ويصير شفاء ورحمة للمتَّبعين ليُشْفَوا من الداء الذي يحلُّ في الدِّين، وسماه روحاً لما يحيى به الدِّين، وسماه حكيماً لما يصير من عرف بواطنه واتبعه حكيماً، وكذلك سماه مجيداً كريماً لما يدعو الخلق إلى المجد والكرم، فمن اتبعه تخلَّق بأخلاق حميدة؛ فيصير مجيداً كريماً، وسماه مباركاً لما به ينال كل بركة، والبركة اسم لشيئين: اسم كلِّ برٍّ وخير. والثاني: اسم لكلِّ ما يثمر وينمو في الحادث، فمن اتبعه نال به كلَّ برٍّ وخير، وكلَّ ثمرة ونماء في الحادث؛ هذا وجه الوصف بما ذكرنا[١].

(١٠١٨) ﴿... وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ...﴾ [الأنعام: ١٥٢].

أي: بعهد الله الذي عهد إليكم في التحليل والتحريم، والأمر والنهي، وغير ذلك[٢].

أقول: وغير ذلك من الإخلاص في العمل، والقيام بحقوق الوالدين، وترك النظر إلى النساء، وعدم الكذب، وعدم الرياء، والانتهاء عن كلِّ ما نهانا عنه شرعنا المحمدي. علينا أيها المسلمون جميعاً أن نقوم بالأوامر ونترك النواهي.

---

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٤/٧٠-٧١.

(٢) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٤/٣١٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠١٩) ﴿... إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ...﴾ [الأعراف: ٢٧].

قيل: قبيلُه: جنودُه وأعوانُه؛ حذَّرنا إبليسَ وأعوانَه؛ بما يروننا ولا نراهم. فإن قيل: كيف كُلِّفنا محاربتَهُ، وهو بحيث لا نراه وهو يرانا، ومثله في غيره من الأعداء لا يكلِّفنا محاربةَ مَنْ لا نراه أو لا نقدر القيامَ بمحاربته، وليس في وسعنا القيام بمحاربة مَنْ لا نراه؟ قيل: إنه لم يكلِّفنا محاربةَ أنفسهم، إذ لم يجعل له السلطانَ على أنفسنا وإفساد مطاعمنا ومشاربنا وملابسنا، ولو جعل لهم لأهلكوا أنفسنا وأفسدوا غذاءنا، إنما جعل له السلطان في الوساوس فيما يوسوس في صدورنا، وقد جعل لنا السبيل إلى معرفة وساوسه بالنظر والتفكُّر، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ...﴾ [الأعراف: ٢٠٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠١]، علمنا ما به ندفع وساوسه وهمزاته، وجعل لنا الوصول إلى دفع وساوسه بحجج وأسباب جعلت لنا، فهذا يدلُّ على أن الله تعالى يجوز أن يكلِّفنا بأشياء لم يعطنا أسباب تلك الأشياء، بعد أن جعل في وسعنا الوصول إلى تلك الأسباب[1].

(١) التفسير الواضح الميسر ص٣٧٥.

أقول: إنَّ الله تعالى لم يكلِّفنا بمجادلة الشيطان، ولكن أمرنا بأن نتعوَّذ به جلَّ وعلا منه.

(١٠٢٠) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ...﴾ [الأعراف: ٥٧].

أي: هو جلَّ وعلا الذي يبعث الرياح مبشِّرات بالخير، قادمةً بالمطر الذي به حياةُ البشر(١).

ـ وفي قوله جلَّ وعلا: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ دلالة ألا تفهم من اليدين الجارحتين على ما يُفهم من الخلق، كما لم يَفهم أحد بذكر اليد في المطر الجارحة؛ لأنه لا جارحة له؛ فعلى ذلك لا يفهم من ذكر اليد له الجارحة من قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، لم يفهم من قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ الجارحة للقرآن، فعلى ذلك لا يفهم مما ذكر من يديه الجارحة، ومن فهم ذلك فإنما يفهم لفساد في اعتقاده. وكذلك ما ذكر من الاستواء على العرش، والاستواء إلى السماء، لا يفهم منه ما يفهم من استواء الخلق؛ لأنه تبارك وتعالى بريء عن جميع مشابه الخلق ومعانيهم، وهو ما وصف حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١](٢).

---

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٤/٣٩٧.

(٢) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٤/٤٦٤-٤٦٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٢١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ جعل الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الأمة وسطاً عدلًا بقوله جلَّ وعلا: ﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا قد جعلكم الله تعالى أمناء عدلًا وسطاً، فلا تخونوا الله فيه؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ...﴾ الآية [النساء: ١٣٥]، وقال: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨]، وقال: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾ [الأحزاب: ٧٢]، أخبر أنه ألزمهم الأمانة ـ أعني: البشر ـ دون ما ذكر من الخلائق، فمنهم من ضيَّع تلك الأمانة؛ من نحو المنافقين والمشركين، وخانوا فيها، فلحقهم الوعيد بالتضييع، وهو قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ ...﴾ الآية [الأحزاب: ٧٣]، فكأنه قال: يَا أَيُّهَا الذين آمنوا، قد قبلتم أمانة الله فلا تضيعوها، ولا تخونوا فيها؛ كما قال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١]، ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾

[البقرة: ٤٠]، وغيرها من الآيات التي فيها ذكر الأمانات، نهاهم أن يخونوا فيها، فيكونون كأنهم خانوا أمانتهم.

ويحتمل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إن أنفسكم وأموالكم لله تعالى، وهي عندكم أمانة استحفظكم فيها، فلا تستعملوها في غير ما أذن لكم؛ لأن من استحفظ أحداً في شيء ووضع عنده أمانة، فاستعملها في غير ما أذن له، صار خائناً فيها ضامناً؛ فعلى ذلك أنفسُكم وأموالُكم لله تعالى عندكم أمانة استحفظكم فيها، فإن استعملتموها في غير ما أذن لكم فيها، خنتم الله والرسول فيها، فتخونوا أماناتكم التي لكم عند الله إذا ضيعتم الأمانة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: قوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾، أي: لا تخونوا اللهَ تعالى والرسول ﷺ، ولا تخونوا أماناتكم التي فيما بينكم.

وأصله: أنه عَزَّ وَجَلَّ امتحنهم فيما امتحنهم لمنافع أنفسهم ولحاجتهم، فيصيرون فيما خانوا فيما امتحنهم كأنهم خانوا أنفسهم وخانوا أماناتهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، وقوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦ...﴾ الآية [فصلت: ٤٦].

ثم خيانة المنافقين والمشركين في الدِّين، وخيانة المؤمنين في أفعالهم، فوعدهم التوبة عن خيانتهم، وأوعد أُولَئِكَ على ما خانوا بقوله جلَّ وعلا: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن أنفسكم وأموالكم ليست لكم، إنما هي لله تعالى عندكم أمانة، فلا تخونوا فيها[١].

أقول: الأموال أمانة، والأولاد أمانة، وأنفسنا أمانة، فلا تخونوا الأمانة في المال في منع الزكاة ومنع الصدقات، لأنكم وكلاء على المال، والمال مال الله تعالى. والأولاد أمانة عندنا، فإذا كانوا يشربون الخمر ويتركون الصلاة، ونحن لا يهمُّنا ونغمض عيوننا عن تركهم الصلاة وعن كذبهم، وهم بهذا تحصل لهم لعنة الله تعالى، وإذا رضينا بأفعالهم نحن مشتركون معهم. وأنفسنا كذلك أمانة، نترك الصلاة، ونترك قراءة القرآن، هذه كلُّها خيانة مِنَّا، وإذا كان الأولاد عندنا أمانة لا بدَّ أن نحفظ الأمانة، يقول: ابني جيد يدرس وينجح، وهو لا يصلي ويكذب، هذه خيانة، ويدفعون المال إلى هؤلاء الفسَّاق! إنما هي عندكم أمانة فلا تخونوا فيها. وأفعال المؤمنين ليست كلُّها موافقةً لمقتضى الإيمان، كما أن أفعال الكافرين ليست كلُّها كفراً.

** ** **

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٥/١٨٣-١٨٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٢٢) ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ [الرعد: ٢].

أي: الله جلَّ وعلا بقدرته خلق السموات، فجعلها مرتفعة البناء، واسعة الأرجاء، قائمة بلا عمد، لا تستند إلى شيء، وأنتم تشاهدونها بغير دعائم، ثم استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، من غير تعطيل ولا تمثيل[1].

ـ وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ لما لم يفهم من قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ المكان ـ وإن كان في الشاهد يفهم منه المكان إذا أضيف إلى المخلوق ـ لم يجز أن يفهم من استوائه ما يفهم من استواء الخلق.

وبعدُ فإن في الشاهد؛ إذا قيل: فلان استولى أمر بلدة كذا؛ أو استوى أمره؛ لم يُفهم منه المكان، بل فُهم منه نفاذ الأمر والسلطان والمشيئة؛ فعلى ذلك لم يجز أن يفهم من الله تعالى إذا أضيف إليه «الاستواءُ» المكان.

وأصله: ما ذكرنا فيما تقدم أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

(١) التفسير الواضح الميسر ص٦٠٩.

[الشورى: ١١]؛ فهو في كل شيء وكل وجه لا يشبه الخلق؛ إذ الخلق في الشاهد لا يشبه بعضه بعضاً من جميع الجهات؛ إنما يشبه بعضهم بعضاً بجهة، ثم صاروا جميعاً أشكالاً وأشباهاً؛ بتلك الجهة التي وقعت بها التشابه؛ فإذاً الله سبحانه وتعالى لما أخبر أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، دلَّ أنه إنما نفى عنه الجهات التي يقع بها التشابه والمثل؛ فهو يخالف الخلق من جميع الوجوه[1].

** ** **

(١) تفسير الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى: ٦/٣٠٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٢٣) ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل: ٤١].

أي: والذين تركوا أوطانهم حبّاً في الله تعالى ورسوله ﷺ، وطلباً لرضوان الله تعالى، من بعد ما عُذِّبوا وأوذوا، لنسكننَّهم داراً حسنة خيراً مما تركوا، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (أسكنهم الله تعالى المدينة المنورة، فجعلها لهم دار هجرة). ولثوابُ الآخرة أعظمُ، وأكبر لهم، من نعيم الدنيا[١].

(١٠٢٤) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل: ٤٢].

أي: وهم الذين صبروا على الشدائد والمكاره، فهجروا الأوطان، وفارقوا الإخوان، واعتمدوا على ربِّ العزة والجلال، يطلبون رحمته وثوابه جلَّ وعلا[٢].

** ** **

(١) التفسير الواضح الميسر ص٦٦٢.

(٢) التفسير الواضح الميسر ص٦٦٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٢٥) ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧].

أي: علومهم سطحية، لا تعدو أن تكون قشوراً يعلمون أمر معايشهم ومكاسبهم، متى يزرعون؟ ومتى يحصدون؟ أمَّا العلم الصحيح النافع، الذي يسعدهم في آخرتهم فيجهلونه! وأثبت تعالى لهم العمل السطحي، الذي هو تدبير أمور الحياة، كالزراعة والصناعة، والبناء، وملء البطون كالبهائم بلذيذ الطعام، وغفلتهم عن الآخرة، وما يستتبعها من الخلود في النعيم، أو الجحيم[١].

ـ قال في المقتطف: ومن الناس من ينقر الدرهم بظفره فيعرف جيده وزيفه، وهو لا يعرف كيف يصلِّي! أي: يعلمون ظاهرها ولا يعلمون باطنها، وهي مضارُّها وفناؤها، وإيرادها جملة اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم، وتشبيهاً لهم بالحيوانات المقصور إدراكها بظاهرها[٢].

ثم يأتي التوبيخ للمشركين، على تركهم التأمُّل والنظر في ملكوت السموات والأرض، فيقول سبحانه:

---

(١) التفسير الواضح الميسر ص٩٩٩.

(٢) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/١٩٦.

(١٠٢٦) ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم: ٨].

أي: أولم يتفكَّروا بعقولهم وألبابهم، في هذا الكون الفسيح، ليعلموا أنَّ الله تعالى العظيم الجليل ما خلق السموات والأرض عبثاً؟ فإنَّ هذا العالم بما حواه من سموات وأرض، وشمس وقمر، ونجوم وأفلاك، وبحار وأنهار، كلُّه ينطق بوجود الله تعالى ووحدانيته، فلماذا يُعْمَون عن هذه الآية ولا يتفكَّرون فيما أبدع الله تعالى من هذه المخلوقات؟ خلق كلَّ هذا الوجود لإقامة الحقِّ، إلى وقتٍ ينتهي فيه هذا العالمُ وهو يوم القيامة؛ وأكثرُ الناس منكرون جاحدون للبعث والحساب[1].

** ** **

(١) التفسير الواضح الميسر ص٩٩٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٢٧) ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

أي: هو جلَّ وعلا يرحمكم، ويثني عليكم، ويعتني بأمركم، وملائكته يصلون عليكم بالدعاء والاستغفار، فالصلاة من الله تعالى بالمغفرة والتزكية والرحمة، ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار. كما قال سبحانه عنهم: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]. وحكى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي العالية رحمه الله تعالى أنه قال: الصلاة من الله تعالى: ثناؤه على العبد عند الملائكة.

﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال، إلى نور الهدى واليقين، وكان سبحانه رحيماً بالمؤمنين في الدنيا والآخرة، حيث يقبل القليل من أعمالهم، ويعفو عن الكثير من ذنوبهم[1].

** ** **

(١) التفسير الواضح الميسر ص١٠٥١-١٠٥٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٢٨) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٧].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ﴾ أي: هو جلَّ وعلا الذي خلقكم أيها الناس في أطوار وأدوار، فخلق أصلكم آدم من تراب، ثم خلق ذريته من النطفة، وهي المنيُّ، أي: الماء المهين، ثم من علقة، وهي التي تعلق بجدار الرحم، ثم بعد تلك الأطوار يخرج من بطن أمه طفلاً ضعيفاً، ثم لتبلغوا سنَّ الشباب وكمال الرشد والعقل، ثم لتصبحوا شيوخاً في سنِّ الهرم ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: ومنكم من يتوفَّى قبل سنِّ الشيخوخة، ولتصلوا إلى الزمان الذي حدِّد عمراً لكلِّ إنسان، وهو وقت الموت، ولكي تعقلوا دلائل قدرته سبحانه ووحدانيَّته.

لقد مرَّ خلق الإنسان في أطوار عجيبة، وهو مظهر القدرة الباهرة، فإن خلق الإنسان من تراب منتهى الإعجاز، فإن أهل

الأرض جميعاً لو اجتمعوا على خلق ذُبابة أو بعوضة ما استطاعوا، فكيف بخلق إنسان له عقل، وسمع، وبصر، وإدراك، من تراب جامد؟! ولكنها القدرة الفائقة التي تفعل العجائب[١].

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) التفسير الواضح الميسر ص١١٩٠-١١٩١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٠٢٩) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٥١].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ عن الكفر والمعاصي ﴿فِي مَقَامٍ﴾ أي: في مكان إقامة، وهي قصور الجنة ﴿أَمِينٍ﴾ يأمن صاحبه من الآفات والانتقال عنه؛ والمسكن إنما يطيب بشرطين:

١ـ أن يكون آمناً عن جميع ما يُخاف.

٢ـ وأن تكون أسباب النزهة فيه كاملة[١].

(١٠٣٠) ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدخان: ٥٢].

أي: في حدائق وبساتين ناضرة، وعيون جارية؛ وهذا يدلُّ على اشتماله على طيِّبات المآكل والمشارب[٢].

(١٠٣١) ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدخان: ٥٣].

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: من أنواع ملابس الحرير، الرقيق منه والسميك ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ في المجالس ليستأنسوا بذلك.

فإن قيل: الجلوس على هذا الشكل موحش، لأن كلَّ واحد منهم يطَّلع على ما يفعله الآخر.

---

(١) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٢.

(٢) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٢.

قلنا: أحوال الآخرة بخلاف أحوال الدنيا[١].

(١٠٣٢) ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدخان: ٥٤].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرنَّاهم بزوجات من الحور العين، والحُورُ: جمع حوراء، وهي البيضاء، والعِينُ: جمع عيناء، وهي عظيمة العينين[٢].

(١٠٣٣) ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان: ٥٥].

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ أي: يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهونه من الفواكه، لا يتخصَّص شيء منها بمكان ولا زمان ﴿ءَامِنِينَ﴾ من كلِّ ما يسوؤهم، ويكدِّر صفوهم[٣].

(١٠٣٤) ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٥٦].

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ بل يستمرُّون على الحياة الأبدية ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾ التي ذاقوها في الدنيا ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: نجَّاهم الله تعالى من عذاب جهنَّم الفظيع[٤].

---

(١) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٢.
(٢) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٣.
(٣) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٣.
(٤) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٣.

وفي الحديث الشريف: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئِبُّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلُّهم قد رآه. ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئِبُّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، فيُذْبَح، ثم يقول: يا أهلَ الجنة خُلُودٌ فلا موت، ويا أهلَ النار خُلُودٌ فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلةٍ أهلُ الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]» [رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى].

(١٠٣٥) ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥٧].

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ﴾ يعني: كل ما وصل إليه المتقون، الخلاص من عذاب النار، والفوز بالجنة، إنما حصل لهم بفضل الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز وراءه، إذ هو خلاصٌ من المكاره، ونيلٌ لكلِّ المطالب، وذلك النعيم تكرمة من الله عزَّ وجلَّ لهم[(١)].

(١٠٣٦) ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الدخان: ٥٨].

أي: إنا أنزلنا الكتاب المبين بلغتك ـ يا أكمل الرسل عليه الصلاة والسلام ـ كي يفهمَهُ قومُك ويتذكَّروا ويعملوا بموجبه[(٢)].

---

(١) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٣.

(٢) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٤.

(١٠٣٧) ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ [الدخان: ٥٩].

﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ فانتظر يا أيها الرسول ﷺ ما يحلُّ بهم ﴿إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ إنهم ينتظرون هلاكك، وسيعلمون لمن تكون العاقبة، ولمن يكون النصر والظَّفَر؟ وفيه وعد للرسول ﷺ ووعيد للمشركين، والله أعلم بمراده، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين[1].

** ** **

(١) المقتطف من عيون التفاسير: ٤/٥٩٤.